

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٢١ / ٢٠٠٠

الأحد ٢١ أيار

أحد المخع

تذكار القديسين العظميين

الرسل قسطنطين وهيلانة

اللحن الثالث

إنجيل السحر الخامس

الرسالة (أعمال ١:٢٦ و ١٢-٧)

الإنجيل (يوحنا ١:٥-١٥)

+ قسطنطين وهيلانة المعادلا الرسل

تُعَدُّ الكنيسة المقدسة في الحادي والعشرين من أيار لتذكار القديسين العظميين في الملوك قسطنطين وأمه هيلانة، اللذين استحقا لقب المعادلين للرسل كونهما ساهما في إطلاق البشارة بالمسيح عبر إعطاء الأمر بوقف الاضطهادات ضد المسيحيين وإعلان المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية. وُلدت القديسة هيلانة سنة ٢٤٧ في عائلة وثنية متوسطة الحال، في إحدى مدن إقليم بيتينيا، صارت لاحقاً مدينة هيلانوبولي (أي مدينة هيلانة). عندما كبرت

تزوجت من قسطانس كلوروس الذي كان يعمل لدى الملك الروماني، لكن عائلته كانت ذا جاه وغنى كبيرين. رُزقت هيلانة بابنها قسطنطين عام ٢٧٢، واستمرت في العيش مع زوجها قسطانس إلى أن طلقها عام ٢٩٢ بعد أن سُمي قيصرًا، ليتزوج من ثاودورة ابنة الإمبراطور مكسيميانوس، وذلك لتوطيد أواصر المملكة.

خلف قسطنطين والده في الحكم عام ٣٠٦، وكان ماسنسيوس، والي روما، عدوًا لقسطنطين وأعلن الحرب ضده. قاد قسطنطين جيشه وسار باتجاه روما متكلًا على آلهة والده الوثنية. لما اقترب من المدينة ظهرت له في السماء علامة الصليب الخالصة بشكل نور عظيم، كُتب قربها «بهذه العلامة تنتصر». تساءل قسطنطين ما عسى أن تكون هذه الرؤيا. ثم تراءى له الرب يسوع في الحلم في الليلة نفسها وأمره بأن يحمل علامة الصليب التي بها ينتصر. فرسم الصليب على رايات الجيش مع الحرفين اليونانيين X.P. اللذين يعنيان يسوع المسيح. انتصر قسطنطين في حربه وعاد إلى بلاده مظفرًا.

بعد عودته من الحرب استدعى قسطنطين المتقدمين في المسيحية وأخبرهم عما حصل معه مستفسرًا عن الإله الذي ظهر له. فتعرف على الرب يسوع وآمن به وبكل عقائد الإيمان المسيحي القويم، وصار محامياً عن الإيمان وعمل على هدم المعابد الوثنية والأصنام. كذلك استدعى والدته إلى القصر الملكي ولقنها الإيمان فأمنت بالرب يسوع واعتمدت وكانت في الرابعة والستين من عمرها، وأظهرتغيرة كبيرة على هذا الإيمان. وكانت تغدق بإحساناتها على الفقراء والمساكين وتتبرع بالأواني المقدسة والأثاث الثمينة للكنائس. كما كانت تواظب على الصلوات والعبادة والمشاركة في الخدم الإلهية والجلوس في الكنائس مع عامة الشعب.

بعد انتهاء أعمال المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥، خصّص الملك قسطنطين جزءاً من أموال الخزينة لبناء الكنائس في أورشليم والأراضي المقدسة. أودع هذا المال والدته هيلانة التي كانت منطلقة في رحلة حج إلى الأراضي المقدسة لكي تتم مراده. انطلقت من القسطنطينية إلى أورشليم عام ٣٢٦، وكانت تغدق العطايا على مختلف سكان المدن التي مرت بها. ولما وصلت إلى أورشليم هدمت معبد الزهرة الذي كان قد شيده الوثنيون على جبل الجلجلة في مكان صلب الرب. ثم اهتمت بأن تعرف مكان قبر يسوع وإيجاد الصليب الذي صُلب عليه الفادي.

عُثرت هيلانة على مكان القبر ووجدت بقربه ثلاثة صلبان، والمسامير واللوحه التي كُتبت عليها «يسوع الناصري ملك اليهود». بقي ان تعرف أياً من الصلبان الثلاثة هو صليب الرب. فأشار عليها القديس مكاريوس أسقف أورشليم أن تأخذ الصلبان إلى بيت مريضة مشرفة على الموت وهناك وضعوا المريضة على الصليب الأول ثم على الصليب الثاني فلم يحدث شيء، وعندما وضعوها على الصليب الثالث قامت معافاة صحيحة. سجدت هيلانة أمام صليب الرب الفادي وأخذت جزءاً منه لابنها قسطنطين. أما الصليب فوضعت في خزانة من فضة وضعت لاحقاً في كنيسة في أورشليم. بعدها شرعت في بناء كنيسة القيامة وشاهدت أبراج الكنيسة تُشاد. كما اهتمت ببناء كنيستين في جبل الزيتون حيث صلى يسوع وفي بيت لحم عند موقع مغارة الميلاد. وساهمت في بناء عدد كبير من الكنائس.

مرت القديسة هيلانة في طريق عودتها إلى القسطنطينية بقرية مولدها التي صار اسمها هيلانوبولي، بأمر الملك قسطنطين، وطلبت من ابنها أن يكرس المدينة للقديس لوكيانوس الشهيد، وعملت على بناء كنيسة على اسم القديس لوكيانوس في المدينة.

عاشت القديسة ثمانين سنة معافاة سليمة ورقدت بسلام سنة ٣٢٨ بحضور ابنها قسطنطين وبنيه.

أما الملك قسطنطين فكان مدافعاً كبيراً عن الإيمان ومجاهداً ومصمماً على استئصال الوثنية من المملكة. بنى مدينة القسطنطينية وجعلها عاصمة الإمبراطورية وأقام فيها أجمل الكنائس: السلام والرسل وميخائيل وغيرها. وقد بقي على استقامة الرأي والحياة الشريفة إلى حين وفاته في ٢١ أيار ٣٣٧. فبشفاكات قديسيك قسطنطين وهيلانة يا رب ارحمنا وخلصنا آمين.

+ ماذا بعد الموت؟

كثيراً ما يطرح المؤمنون تساؤلات عما يحدث بعد موت الإنسان، وعن الحياة بعد الموت، وعن وقت حدوث الدينونة، وما هي الجنة أو الحياة الأبدية وما هو الجحيم أو العذاب الأبدي، وهي مواضيع أساسية للمؤمن المسيحي إذ انها تدخل ضمن المجهول الذي يسعى المؤمن إلى اكتشافه.

مع الموت تنفصل النفس عن الجسد. يعود الجسد إلى الأرض التي منها أُخذ، وينحل عائداً إلى التراب، ويبقى هناك إلى أن يأتي اليوم، اليوم الأخير، حيث تحدث القيامة بالجسد، «يُزرع في فسادٍ ويُقام في عدم فساد. يُزرع في هوانٍ ويُقام في مجد. يُزرع في ضعفٍ ويُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً» (١ كور ١٥: ٤٢-٤٤). في هذا اليوم الأخير، يوم المجيء الثاني، يوم الدينونة يتحد الجسد بالنفس مجدداً ليخضعاً للدينونة العامة. «انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يوحنا ٥: ٢٥).

أما النفس، فبعد انفصالها عن الجسد، وبانتظار الدينونة العامة، تعيش بحسب التعابير اللاهوتية في حالة «متوسطة» «Intermediate» (واقعة في الوسط). ولا يعطينا العهد الجديد صورة واضحة عن هذه الحالة، إنما بعض الإشارات. فالإنجيلي لوقا، في مثل الغني ولعازر (لوقا ١٦: ١٧-٣١)، يوضح أن المؤمن يذهب إلى حضن إبراهيم وغير المؤمن إلى «الهاوية» (Hell). وحضن إبراهيم بحسب التقليد الرباني، منذ العهد القديم، هو مكان سكنى الصديقين بانتظار الدينونة الأخيرة، والهاوية مكان سكنى غير المؤمنين. أما بالنسبة لكلام الرسول بولس «لي اشتهاً أن أنطلق وأكون مع المسيح» (فيلبي ١: ٢٣) فلا يمكننا سوى التأكيد على أن الحياة (للنفس) بعد الموت هي حالة بركة بحضور المسيح.

يُذكر أن النفس بعد خروجها من الجسد تخضع للدينونة الخاصة أو الحكم البدائي. «وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عبرانيين ٩: ٢٧). هذا يعني أن النفس تخضع للمحاكمة الخاصة بها، وتبقى في انتظار الدينونة العامة، عند مجيء المسيح الثاني، حين يتحقق الحكم الخاص، وتعيش في هذه الفترة المتوسطة في حالة تذوق مسبق للملكوت والفردوس أو الجحيم والعذاب الأبدي. سفر الرؤيا يعطينا صورة واضحة عن الموضوع. فالذين لم يسجدوا للوحش «ولم يقبلوا سمات الوحش جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة. هذه هي القيامة الأولى (أي التي تحدث عند الموت). مباركٌ ومقدسٌ من له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني (أي الذي يحدث عند الدينونة العامة) سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة» (٢٠: ٤-٦). معنى هذا الكلام أن المؤمنين الذين كانوا مع يسوع لحظة موتهم قد حصلوا على القيامة الأولى، وعرفوا مصيرهم منذ الآن، لكن تحقيق هذا المصير سوف يكون

في اليوم الأخير، عندما يسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما ليدانوا كل واحد حسب أعماله» (١٣:٢٠). عندها سيكون المؤمنون «كهنة لله للمسيح وسيملكون ألف سنة»، أي لن يكون للموت الثاني أي سلطان عليهم. نستنتج أن المؤمن يتذوق منذ لحظة موته ما معنى أن يكون مع المخلص يسوع وبقربه. فهو جالس في حضن إبراهيم بانتظار كمال الأمور وتحقيقها النهائي.

في اليوم الأخير، يوم الدينونة العامة التي ستحصل عند مجيء المسيح الثاني، سوف يحضر الجميع أمامه بالجسد والنفس. يسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيها ليدانوا كل واحد حسب أعماله. في هذا اليوم يجمع الرب «جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض» (متى ٢٥:٣٢)، كلاً حسب أعماله. ولا تحضر الروح أو النفس بمفردها للمحاكمة بل مع الجسد لأن الدينونة هي للجسد أيضاً: «لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢ كور ٥: ١٠). في هذا اليوم «يخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥: ٢٩). في هذا اليوم يفصل الرب الناس قسمين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وسوف يسمع الذين عن يمينه «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣٤). أما الخطاة الذين عن اليسار فسوف يسمعون «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (متى ٢٥: ٤١)، «فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (متى ٢٥: ٤٦).

بعد الدينونة العامة هناك أمّا حياة أبدية، فردوس ونعيم، واما عذاب أبدي، جحيم وعذاب، ولا متغيرات بعد هذا اليوم. فالأبرار يثبتون في نعيمهم والخطاة في عذابهم وجحيمهم. سوف لن يختفي الخطاة بعد الدينونة العامة كما يظن البعض، ولن يكون عقابهم مؤقتاً أو مرحلياً كما يظن البعض الآخر. بل سيثبت الكل في موقعه الذي ارتضاه لنفسه من خلال إيمانه وأعماله أثناء حياته على هذه الأرض.

لا أحد يستطيع وصف ما ستكون عليه الحياة الأبدية. الرسول بولس عندما أراد وصف ما شاهده عندما اختطف إلى الفردوس قال «ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١ كور ٢: ٩ وأنظر ٢ كور ١٢: ٤).

عندما سأل الصدوقيون، الذين لا يؤمنون بالقيامة، الرب عما سيحدث في اليوم الأخير للمرأة التي تزوجت سبعة إخوة أجاہم «في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون» ولا يأكلون ولا يشربون بل «يكونون كملائكة الله في السماء» (متى ٢٢:٣٠). الحياة الأبدية هي أن تكون بقرب يسوع، وتستمد حياتك منه فلا تعود بحاجة إلى أي شيء آخر، وهذا هو الفردوس.

أما بالنسبة للجحيم، فالكتاب المقدس يعطي عدداً من الصور المخيفة عنه، فيصفه «بالظلمة الخارجية» (متى ٢٥:٣٠) و«النار التي لا تطفأ» (مرقس ٩:٤٤)، حيث «دودهم (أي الخطاة) لا يموت» (مرقس ٩:٤٨)، وحيث «البكاء وصرير الأسنان» (متى ٢٥:٣٠). ولا يقصد بالنار والدود معناه الحرفي. يقول القديس غريغوريوس النيصصي: «لأنكم تعلمتم أن تفهموا الأمور بشكل مختلف عما هو موجود بالحقيقة، فعندما تسمعون عن النار والدود، لا تفكروا بالنار الأرضية والحشرات المعروفة». ويقول القديس يوحنا الدمشقي: «إن النار الأبدية ليست شيئاً مادياً حسياً كما نعرفها، إنها أمر لا يفقهه إلا الله وحده». بمعنى آخر ان النار ليست حسية كما نعرفها، بل نار يعرفها الله وحده. وتُعطى صورة النار دوماً للعذاب الأبدي كون الحريق بالنار هو أصعب عذاب يتعرض له الإنسان. أن تكون بعيداً عن الله، بعيداً عن يسوع هو العذاب الأبدي. وهذا العذاب أقسى من العذاب بالنار، لأنك حينها سوف تكتشف ما لم تدرك وأنت على قيد الحياة.

صلاتنا أن يؤهلنا الرب أن يكون لدينا «جواباً حسناً لدى المنبر الرهيب» في اليوم الأخير لنكون مستحقين أن نجلس مع الخراف عن يمين الأب.

صلاة: أيها الأب الذي خلقت الإنسان بسبب محبتك، يا من لم تهمل الإنسان عندما عصى وخطئ، بل أظهرت رافة غزيرة، يا من بسبب محبتك تجسد ابنك الوحيد ليخلص الإنسان. أنت يا رب عالم بمشاكلنا وضعفاننا، وعالم بمحبتنا لك وتوقنا إليك. أبعد عنا إدانتك، لأننا نرغب بالحياة الأبدية بقربك. لكننا، رغم ذلك، نخطئ. فإظهر محبتك وتعطفك علينا، وساعدنا لنكون ثابتين في الإيمان ومعبرين عنه بأعمال المحبة. امنحنا نهاية مسيحية لحياتنا الأرضية، وجواباً حسناً في مجيئك الثاني. لا تدع أي من خليقتك يضيع. نعلم أننا مسؤولون عن مستقبلنا لكننا نرمي الحمل عليك، ولا نلومك ولا نحملك مسؤولية خطايانا لكننا نتضرع إليك أن تساعدنا كلنا دون استثناء. ساعدنا لنقوم بأعمال التوبة. إنه لرهيب أن

تهيء الملكوت لنا فيما نستحق العذاب الأبدي. لا تسمح أيها الخالق أن يحدث هذا لأحد منا. فإننا نشكرك إلى الأبد آمين.

+ تأمل

أننا نهتم بالأمور المادية وبما هو ضروري للحفاظ على قوتنا ونهمل بالكلام والإعمال والمهن. نصبح فلاحين ويصبح البعض جنوداً، وآخرون تجذبهم السياسة، ومنهم يمتهن مهناً أخرى. أننا لا نضيع الوقت فنمدح أصدقاء العمل. كل هذا الاهتمام وهذه الرغبة وهذه المحبة للعمل، يستهدف الحياة المادية. أما الحياة من أجل الأمور الروحية الصالحة فقلما تستهويننا. وهكذا نكون دون أولئك الذين يعملون من أجل الحياة المادية، الذين يعتبرونها فوق الحياة الروحية. أننا دون أولئك لأننا لا نهتم بالأمور السامية غير الفانية الأزلية كما يهتم أولئك بما يرونه فوق المثل السامية، ولكي نلتفت الى هذه الأمور السامية نزل السيد من السماء فاستحالت الأرض بحضوره سماءً وصار طاغي العالم، صار الشيطان أسيراً يدوس رأسه أولئك الذين كانوا أسراه. لقد اتخذ السيد جسداً من أجل تحقيق هذه الغلبة ضد العاتي وقبل جسده الجراح، وسكب الدم فوق الصليب وهزّ أساسات الأرض وهو ميت ووهب الحياة للأموات. كل هذه الأمور حدثت لكي نعرف الرب وتحرر من التصاقنا بالأرض ونوجه أنظارنا نحو السماء. ومع ذلك فأنا لما نزل نغط في نومنا ولما نزل كالتماثيل الحجرية لا توقظنا العواصف القاصفة. هناك من هو أشقى منا اذا كنا كذلك؟

أسنا أشقى من أي شق، أسنا بحاجة الى الرثاء؟ ومن غيرنا يحتاج هذا الرثاء؟
أية مصائب تستحق فيض دموعنا؟ المرض. ليس الجسد مريضاً هنا. المريض هو أشرف ما في الإنسان. أنها النفس. أنذرف الدموع لفاقتنا وفقرنا؟ أننا بإهمالنا أكثر فقراً من أولئك الذين يفتقرون الى كل شيء. ما هو الغنى المادي بالنسبة للغنى الروحي الذي نفقده عندما لا تتجذب قلوبنا نحو السماء؟ الفاقة المادية تنتهي ساعة الموت، أما الفاقة الروحية والعري فلا ينتهيان بل يستمران بعد الموت في الحياة الأخرى ليغذي فيها حزننا وعرينا. ماذا إذا؟ أنقف موقف اللامبالاة ونترك الشيطان الخبيث يسيطر علينا، على أراذلتنا وفكرنا؟ من يلق بنفسه فوق نصل السيف لينتحر او في الهاوية لينسحق ويتهرّب من أصدقائه ويقترّب من الأعداء المحرمين يعط أدلة حسية على مس في عقله. الإنسان الذي يستسلم لعدو نفسه الشيطان ويتهرّب من المسيح لا يبرهن إلا عن جنونه.

لو كانت لنا معرفة واعية بهذا الشر العظيم والخطر الذي نتعرض له لكننا نرغنا الدمع بسهولة ولرافقنا الحزن طوال حياتنا. ان هذا الجرح بليغ على قلوبنا. ومع أننا كنا

نستطيع ان نكون سعداء فأننا اخترنا الشقاء واخترنا ان نغرق في الظلمة مع أننا كنا نستطيع أن نحيا في النور. ان مثل هذه الحالات المفجعة تحتاج الى استنزاف دموع الجميع وعلى الأخص أولئك الذين يشعرون بعظم المصيبة. يكفي ان نفكر بأن السيد قد ذُبح عرياناً على الصليب ليخلصنا من الحالة التي نحن فيها حتى نذرف الدموع. ان من تخضع له كل الأشياء تخدمه يرانا متمردين ضد ارادة من صار إنساناً وهو الإله ليجعلنا نحن البشر آلهة. ان مهندس السماء انتشح الأرض ليحوّلها الى سماء والسيد أخذ صورة عبدٍ ليهب المجد الحقيقي للعبيد. ان ملك المجد " تحمل الصليب مستخفاً بالعار " (عب ١٢:٢).

الأب نقولا كاباسيلاس

(١٢٩٠ - ١٣٧١)